

## أبي أحمد أمام عدة سيناريوهات إذا فشل في السيطرة على تيغراي

مع وصول الحرب الأهلية في إقليم تيغراي إلى نقاط تماس أكثر حدة، بدأ المراقبون السياسيون في وضع سيناريوهات لإصرار رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد على حل المشكلة بالطرق العسكرية، في تحرك يثير الكثير من النقاش بشأن هذا المنحى، والذي يرون فيه رسالة تحذير لأي حركات تمرد أخرى في الأقاليم المهمة تريد إخضاع الدولة لها بالقوة.

وواصل الحزب حكم تيغراي، وهي واحدة من عشر ولايات إقليمية تخضع للنظام الإثيوبي الفدرالي العرقي، حيث يتم تحديد المناطق حسب العرق واللغة. واشتكت الجبهة من تهمة انتهاك مسؤوليتها المشاكلة التي تواجهها البلاد. ودفعها خلفها مع الحكومة المركزية إلى تنظيم انتخاباتها الخاصة هذا العام في تحد لقرار أديس أبابا تأجيل الاقتراع جراء وباء كوفيد -19. ورفض أي جميع الدعوات الدولية لإحلال السلام بما في ذلك من الاتحاد الأفريقي، الذي يعزّم إرسال ثلاثة رؤساء سابقين كمبعوثين خاصين في الأيام المقبلة، فيما حذرت الولايات المتحدة والأمم المتحدة من كارثة إنسانية تلوح في الأفق. واعتبرت حكومة أبي جبهة تحرير شعب تيغراي "إدارة إجرامية"، وبيدو أنها عازمة على كسب المعركة العسكرية بدلاً من التفاوض.

### هجوم الجيش الاتحادي على تيغراي سيكون رسالة لأي حركة تمرد في أي إقليم آخر يريد أن يفرض نفسه على الدولة بالقوة

وامتد العمل العسكري بالفعل أبعد من حدود تيغراي، حيث أطلقت جبهة تحرير شعب تيغراي صوتاً راسخاً على أسمره، عاصمة إريتريا المجاورة، والتي تتهمها بدعم الحكومة الإثيوبية، ومدينة بحر دار إلى الجنوب الغربي. وشهدت الحملة الحكومية قتلًا عنيفاً على الأرض وقصف المقاتلات الحربية لبلدات في تيغراي، فيما وثقت منظمة العفو الدولية مذبحاً مروعة شهدت "طنين أو قتل العشرات، ومن المرجح المئات من الناس غرب الموت في بلدة ماي كاديرا جنوب غرب منطقة تيغراي الإثيوبية". وتؤكد الأحداث التاريخية أن جذور هذه العداوة عميقة، فقد رفضت الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي الانضمام إلى حزب أبي الجديد "حزب الأزهري"، عندما تشكل في أواخر العام الماضي لأنها ترى هذا الحزب محاولة لتفكيك الدستور. ومع مطلع العام الجاري، اتهم قادة تيغراي رئيس الوزراء الإثيوبي بوضع الأساس لنظام ديكتاتوري عن طريق تأجيل الانتخابات بسبب جائحة كوفيد -19. وفي سبتمبر وفي تحد للحكومة الاتحادية، أقام إقليم تيغراي انتخابات خاصة به، وهو ما حث البرلمان على التصويت على قطع كل العلاقات مع القيادة الإقليمية في الشهر الماضي.

وتزعم الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي أن حكومة أبي أشرفت على اضطهاد عرق التيغراي الذين يتسكنون حوالي ستة في المئة من السكان، فضلاً عن ممارسة تطهير عرقي انتقالي للمسؤولين وقادة الأجهزة الأمنية التيغراي في الحكومة الاتحادية. وكشّرت للحوار، طالبت الجبهة بتخني أبي من منصبه كرئيس للوزراء وإفساح المجال أمام حكومة تصريف أعمال، لكن يبدو أن مطلبهم لم يلق الترحيب اللازم.

ومع الغموض الذي يترافق مع هذه الحرب الأهلية، فمن غير المستبعد أن تدخل الدولة في نفق مظلم من الأزمات، وخاصة أن تعامل المجتمع الدولي لا يزال يسير ببطء شديد نتيجة لعوامل أهمها الأزمة الصحية، وإفساح المجال للدبلوماسية مع ترك نفس المسافة من جميع المتحاربين في أزمة لا يعرف أحد متى ستنتهي.



## لا شيء اسمه حرب محلية في القرن الأفريقي.. حرب إثيوبيا مرشحة للتوسع

صراع النخب وإشكاليات الحكم يغذيان النزعة الانفصالية مع كل خلاف



### تاريخ من الصراعات المسلحة التي لا تنتهي

في النهاية، لم تنجح رابيس وكاغامي في منع حرب أصبحت من أكثر الصراعات التقليدية دموية في القارة، وأودت بحياة 80 ألف جندي شاب من الجانبين. لكن اقتراحهما دفع نحو تحقيق مستقل حول من بدأ الحرب لبقى الوسيط الأفارقة والأميركيون على حياء.

وكان رئيس الوزراء الإثيوبي ميليس حكيماً بالحد من أهداف حربه لصد الغزو الإريتري، وعندما انتصر جيشه في ساحة المعركة وكان على وشك اجتياح إريتريا، دعا إلى التوقف. ولم يفخر إسياس هذا الانتصار والازدراء وحلت ثمانية عشر سنة من الحرب الباردة بين إثيوبيا وإريتريا حتى وصل رئيس الوزراء الإثيوبي الشاب الجديد أبي أحمد، إلى أسمره في 2019 لاحتضان إسياس وإعلان السلام، ولقد كانت واحدة من إصلاحات أطلقها سلف أبي، هابلي مريام ديسالين، وجنّ جائرة نوبل للسلام.

ولم يات التدهور الحاد في استقرار أحد أكبر بلدان القرن الأفريقي كمفاجأة لمراقبي انتقال إثيوبيا، والذي كان واعدًا نحو ترسيخ الديمقراطية، وهي نقلة استهلها رئيس الوزراء الإثيوبي، الذي فاز أيضاً بجائزة نوبل للسلام لدوره في إنهاء حرب باردة استمرت لعشرين عاماً مع دولة إريتريا المجاورة. واستشعر العديد من المراقبين مواجهة تتشكل بين أبي وبين حكام الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي الذين هيموا على الائتلاف الحاكم للبلاد منذ 1991 عندما أطاحوا بالنظام الدكتاتوري العسكري السابق حتى العام 2018. وفي أكتوبر الماضي، حذرت مجموعة الأزمات الدولية من أن المواجهة تتخطى طائفة صراع دموي والذي ربما يمزق الدولة الإثيوبية.

وهناك ثلاثة أطراف محاربة؛ الحكومة الفيدرالية في إثيوبيا، وجبهة تحرير شعب تيغراي، والإريتريون، وتنتقل الطائرات المسلحة دون طيار التي تقضي على درع تيغراي من القاعدة الجوية الإثيوبية في عصب. وتبدو بصمات إسياس منتشرة في جميع أنحاء الحرب، ومن المحتمل أنه يعرف أنه لن يفلت من العقاب في اللحظة التي تعود فيها رابيس إلى المنصب في ظل رئاسة باينين. ويتضح من المعارك والغارات الجوية والهجمات الصاروخية ومدابح المدنيين أن هذه حرب كبرى، ولن ينتهي الأمر إذا استولى الجيش الإثيوبي على تيغراي وأعلن النصر، إذ سيتحول الأمر إلى حرب عصابات.

أصبحت الصومال، التي كانت حلقة الاتحاد السوفييتي جزءاً من الكتلة الغربية وتحالفت لإثيوبيا مع الاتحاد السوفييتي، لتنتهي الحرب بانتصار الإثيوبيين.

ولكن الجيش الإثيوبي الأكبر في أفريقيا جنوب الصحراء بقي غير قادر على سحق التمردات في أماكن أخرى، مثل إريتريا وتيغراي وأورومو. وكل بضعة أشهر، كان منغستو يعلن هجوماً نهائياً واعدًا بتدمير الخارجين عن القانون أو قطاع الطرق أو الإرهابيين، أو الانفصاليين، ليجد نفسه في 1991 مطروداً من السلطة من طرف المتمردين. ومن الواضح أن هذا درس بسيط للإدارة الأميركية حيث يسهل أن تبدأ الصروب في إثيوبيا ويصعب إيقافها، ومن الأفضل، بحسب دي وال، وقف العمليات العسكرية قبل أن تتصاعد وتنتشر، خاصة وأن هذا الدرس تكرر بعد سبع سنوات.

### الحل بأخف الأضرار

منذ ذلك التاريخ وإثيوبيا تحت حكم المتمردين بقيادة التيغراي، الذين شكلوا حكومة، وكانت إريتريا تحت حكم حلفائهم في حرب التحرير ضد منغستو وكان كل من رئيس الوزراء الإثيوبي ميليس زيناوي، والرئيس الإريتري إسياس أفرقي حليفين مقربين لواشنطن.

لكن، تصاعد نزاع حدودي طفيف في مايو 1998 حول بلدة باماد إلى مواجهة عسكرية، وواجهت مساعدة وزير الخارجية للشؤون الأفريقية الشابة المعنية حديثاً، سوزان رابيس، أول تحدٍ صعب في منصبها.

وبتعاظمها مع الرئيس الرواندي بول كاغامي، كادت رابيس أن تنجح في التوصل إلى حل وسط أدى إلى تهدئة الصراع، لكن إسياس رفض النهج في اللحظة الأخيرة واعتقد أنه قد ينتصر في الحرب، رغم أنه قال في ذلك الوقت إن إثيوبيا كانت مستعدة للانهايار مثل يوغوسلافيا.

تطوف على سطح الأزمة في إثيوبيا حالة من القلق من أن التأخر في إسكات أصوات المدافع والبنادق سيجعل من مسألة نزاع قبيل التوتير بالنسبة للإدارة الأميركية المقبلة، إذا لم يتمكن فريق جو باينيد الانتقالي للسياسة الخارجية من العمل مع مسؤولي دونالد ترامب المنتهية ولايته، مشكلة معقدة، حيث ستبدأ الولايات المتحدة بمواجهة أزمة غير قابلة للحل في القرن الأفريقي من شأنها أن توسع رقعة الحرب أكثر مما هو متوقع.

وبعد أسبوعين من تخصيص كارتر، نظم الكنتاتور الإثيوبي الجديد، منغستو هيل مريام، مسيرة حاشدة في ساحة الثورة التي أعيدت تسميتها حديثاً في أديس أبابا، والتي ثلاث زجاجات من سائل أحمر يشبه الدم على الأرض، وود بسحق كل أعدائه بهذه الطريقة. ويشير دي وال إلى أن منغستو أطلق في ذلك اليوم ما يسمى بـ"الإرهاب الأحمر"، وكانت حملة تعذيب وقتل استمرت لمدة سنة وقتل خلالها عشرات الآلاف من الإثيوبيين ونفي الملايين. وفي تلك الأيام لم تفكر الولايات المتحدة في التدخلات العسكرية في أفريقيا، ولم يكن بإمكان كارتر فعل الكثير باستثناء إدانة منغستو ووقف المساعدة العسكرية.

ويذهب المؤرخون على أن كارتر لم يترد بشأن ما يجب فعله حيال طموحات الكنتاتور الموالي للسوفييت في الصومال المجاورة، الجنرال محمد سياد بري، الذي رعى أحلام ضم منطقة أوغادين الإثيوبية. وبالنسبة لبري، كانت الدبابات الصومالية في إثيوبيا مغرية، وحشد جيشه للغزو، وبدلاً من الإشارة إلى أن مهاجمة إثيوبيا كانت خاطئة، أرسلت إدارة كارتر رسائل محتلطة اعتبرها بري بمثابة ضوء أخضر للغزو. ومع عبور الدبابات الصومالية الحدود، دعت إثيوبيا الاتحاد السوفييتي إلى تقديم المساعدة العسكرية.

وحينها، تراجعته الولايات المتحدة، التي اعتبرت إثيوبيا إلى جانبها خلال الحرب الباردة، وكان من الممكن أن تتدخل لولا الوجود السوفييتي، إذ لم ترغب في بدء الحرب العالمية الثالثة بسبب نزاع إقليمي أفريقي. وفي واحدة من أكثر الاضطرابات إثارة للدهشة في الحرب الباردة،

اعتقد اليكس دي وال، المدير التنفيذي لمؤسسة السلام العالمي في مدرسة فليتشر للقانون والدبلوماسية في جامعة تافتس في الولايات المتحدة، في تقرير نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأميركية، أنه مع كل يوم يمر وكل مذبحتي للمدنيين وكل هجوم جوي على تيغراي وضربة بطائرة دون طيار، وكل صاروخ أطلقته أتناب تيغراي على مدينة أخرى في إثيوبيا أو في إريتريا المجاورة، تتراكم المظالم ومخاطر الفوضى العنيفة في جميع أنحاء المنطقة وقد تتوسع وتخرج عن السيطرة.

### درس تاريخي

هناك درس تاريخي يجب التذكير به، فمنذ أكثر من أربعة عقود، وعدت إدارة جيمي كارتر قبل أن تبدأ عملها بعض جديد من حقوق الإنسان كمبدأ لسياسة الولايات المتحدة الخارجية وكانت إثيوبيا واحدة من أولى التحديات التي واجهتها أين أطاح المجلس العسكري بالإمبراطور هيلا سيلاسي وشرع في حملة قمع قاسية.



اليكس دي وال؛

مخاطر الفوضى العنيفة في جميع أنحاء المنطقة تتراكم

